

الجمعية التعاونية للبتروك

فدكوى
المولانا النبوى الشرفى

المحاضرة التى ألقاها الأستاذ حسن كامل المطاوى
بدار الجمعية التعاونية للبتروك
١٧ من ربيع الأول ١٣٩١ هـ - ١٢ من مايو ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الأعماء

أحييكم بأطيب تحية وأحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلى و أسلم على سيد الأولين
الآخرين أمير الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد الذي جمعنا على محبته الليله ذكرى
ميلاده العاطره ، وأسترضى الله عن آله الأبرار، وأصحابه الأخيار، وسلف الأمه الصالحين،
وشيوخنا المباركين..

أما بعد:

فإني أتقدم بشكري خالصاً للسيد المهندس كمال قره رئيس مجلس إداره الجمعيه التعاونيه
للبتروال ، الذي دعاني - كعادته في كل عام - لإلقاء هذه المحاضره، فأتاح لي فرصه الالتقاء
بكم على محبه الله ورسوله في مناسبه ذكرى الميلاد النبوى السعيد ، ومثل هذا الاجتماع
الكبير يحبه الله ويباركه لمغزه ومعانيه ، فهو ينطوى على توقير سيدنا رسول الله صاحب
الذكرى صلى الله عليه وسلم ، وفي توقيره اعتراف بفضله ، وإشاده بذكره ، وتقدير لنعمه
الإيمان التي جاءتنا من الله تعالى على يديه ، وتجديد

للإيمان، وشكر الله على فضله فى إرساله ، ونشر لمكارم الأخلاق النبويه للتأسى بها ، وتعليم الناس ما جهلوا من أمر الإسلام ، وتذكيرهم ما نسوا ، فإنما يحيا الإسلام بحياه اهله ، ولا حياه لهم إلا بطاعه الله ، ولا طاعه لهم إلا بطاعه رسول الله عليه وسلم ، فقد قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) كما قال تعالى : (وإن تطيعوه تهتدوا) وخذرنا سبحانه من مخالفته فى قوله الكريم : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم) وبين لنا جل شأنه أنه صلى الله عليه وسلم الاسوة حسنه لمن كان يرجو الله واليوم لآخر وذكر الله كثيراً (جعلنا الله من عباد الله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

الميلاد والرضاعه :

أيها الأعزاء :

قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن النبى صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل، وانتم تعلمون أن عام الفيل هو العام الذى أغار فيه الأحباش على مكه ليهدموا البيت الحرام ، فأرسل الله عليهم الطير الأبابيل ترميهم بحجاره من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ، فأراد الله أن يكون ميلاده صلى الله عليه وسلم بشير انتصار على اعداء الله المعتدين على بيته الحرام وقد هز ذلك النصر الريانى وجدان أهل مكه فقال شاعرهم :

فتنكلوا عن بطن مكة إنها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى
ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم
كانت قديماً لا يرام حريمها
ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
بل لم يعش بعد الإياب سقيمها

ويرحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي ، إذ يقول منوها ببركه يوم الميلاد المحمدي :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
يوم يتيه على الزمان صباحه
والآى تترى والخوارق جمه
فى المهد يستسقى الحيا برجائه
وفم الزمان تبسم وثناء
ومسأوة بمحمد وضاء
جبريل روح بها غداء
وبقصده تستدفع البأساء

وكان الميلاد المبارك فى ليله ١٢ من ربيع الأول على المشهور ، وفى ليله ٩ منه على الصحيح ، كما حققه المغفور له محمود (باشا) الفلكى ، وكان فى ليله الاثنين الموافق ٢٠ أبريل من سنه ٥٧١ ميلاديه . ويرحم الله من قال :

يقول لنا لسان الحال منه
فانى والزمان وضعى
وقد سُمى الوليد المصطفى محمداً ، ولم يفت قریشاً أن تسأل جده عبد المطلب لم سمي حفيده
محمداً على غير عادته آباءه الذين لم يألفوا هذا
وقول الحق يعذب للسميع
ربيع فى ربيع فى ربيع

الاسم ، فأجابهم عبد المطلب : أردت أن يكون محموداً فى الأرض وفى السماء .

وقد استقبل عبد المطلب ((حلیمه السعديه)) حين جاءت تأخذ حفيده لترضعه فى البادية ، حيث جرت عادته الشريقات من سيدات قريش أن يسترضعن أولادهن فى البادية لتصح أجسادهم وتفصح ألسنتهم ، فسألها عبد المطلب : من أنت ؟ فقالت : امرأة من بنى سعد ، قال : ما اسمك ؟ قالت : حلیمه ، فتبسم وقال : بخ بخ ، سعد وحلم فيهما خير الدهر وعز الأبد ، وهو ما كان بفضل الله وحمده .

وقد لمست حلیمه بركه الوليد ، كما لمسها زوجها من أول عهدهما به ، وكانت ترقصه وتقول :

يارب إذ أعطيته فأبقه وأعله إلى العلا وأرقه
*وادحض أباطيل العدا بحقه *

وكانت ابنتها تحضن الوليد المبارك وترقصه قائله :

ياربنا أبق اخى محمدا حتى أراه يافعا وأمردا
ثم أراه سيداً مسودا واكبت أعاديه معا والحسدا
*وأعطه عزاء يدوم أبدا *

غايه المجد :

أيها الأحباب :

إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لا يزداد مجداً بهذه المحافل ، إنما نحن الذين نزداد بها مجداً وسعداً ، فقد نال بالفعل صلوات الله وسلامه عليه اقصى غايه من المجد ، ولم يكن لغيره من الرسل الكرام عليهم صلوات الله وسلامه مثل أثره ، وذكرى الميلاد تعظم بعظمه آثار المولود ، وآثاره صلى الله عليه وسلم فى المجتمع البشرى عظيمه للغاية ، ولا ينكرها إلا من تعامى عن الحق ، وقد قيل فى الحكمة :

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مشفر ويرشدنا كتاب الله الكريم إلى فضائله وآثاره ، وليس بعد قول الله تعالى قول ، ولا بعد وصفه وصف ، ولا بعد تكريمه تكريم . فلننظر بأنوار القرآن المجيد فى كل ذلك ، ولنأخذ منه العبرة للاعتبار ، والذكرى للاستبصار ، وقد قال تعالى : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

الرساله المحمديه رساله رحمه :

بين سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم أن الرساله المحمديه جاءت رساله رحمة ، كما بين أنها جاءت رساله عامه لم يخص الله بها قوماً دون

قوم ، فقال تعالى فى سورة الأنبياء : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقال تعالى فى سورة سبأ :

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)

أما إنها رساله رحمة فقد صدقته الأيام ، فقد سعد برسالته الذين آمنوا بالله ورسوله فى دنياهم واخراهم . وأما الذين كفروا فلم يعذبوا بإهلاكهم كما فعل الله بكفار الأمم التى سبقتهم ، فقد اغرق الله مثلاً بالطوفان قوم نوح عليه السلام ، وأهلك بالريح الصرصر قوم عاد عليه السلام فكانوا كأعجاز نخل منقعر ، وأرسل الصيحة على قوم صالح عليه السلام ، فكانوا كهشيم^١ المحتظر^٢ ، أما كفار مكة فقد دعا لهم لا عليهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ((اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون)) وعند ذلك قال له جبريل عليه السلام : صدق من سماك الرءوف الرحيم وحين زادوا فى عتوهم ونفورهم وتحديهم بين الله أنه لا يعذبهم بالاستئصال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، كما حكى سبحانه فى كتابه الكريم فى سورة الأنفال : (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم * وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فلم يشأ سبحانه أن يستأصلهم إكراماً لوجوده صلى الله عليه وسلم بينهم ، وهو رحمه نالتهم على يديه صلى اله عليه وسلم .

^١ -الهشيم من النبات اليابس المنكسر .

^٢ - المحتظر صانع الحظيرة التى تأوى إليها المواشى .

ولم يخص الله بتلك الرحمة التي تميزت بها الرسالة المحمدية عالماً دون عالم ، بل شملت جميع العاملين من إنس و جن وملائكة . وقد حكى الله ما كان من الجن حين سمعوا كتاب الله الكريم ، فقال تعالى فى سورة الجن : (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً * يهدى إلى الرشـد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً * وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبه ولا لداً) .

وقد روى القاضى عياض أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام : ((هل أصابك من هذه الرحمة شئ؟ قال : نعم ، كنت اخشى العاقبة فأمنت بثناء الله تعالى على بقوله عز وجل : (إنه لقول رسوله كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين) . ومن ذلك نرى أن الرحمة شملت عوالم الإ نس والجن والملائكة .

وقد روى الإمام ابو نعيم الأصبهاني رضى الله عنه عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله بعثنى رحمه للعالمين وهدى للمتقين)) وروى بسنده أيضاً عن ابى هريرة رضى الله عنه ، قال : قيل : يارسول الله ألا تدعو على المشركين ؟ قال : ((إنما بعثت نعمة ولم أبعث عذاباً)) .

وقد من الله سبحانه وتعالى على المؤمنين برسائله صلى الله عليه وسلم

فى قوله عز وجل فى سورة آل عمران : (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فىهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) . ولذلك كانوا ببركته صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس ، فقال تعالى فى شأنهم فى سورة آل عمران (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ولولا أن نبينا صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء ما كنا نحن خير الأمم، فما أعظم حظنا به صلى الله عليه وسلم .

والذين لم يعتنقوا الإسلام فاتهم خير كثير ، ولئن أحر الله هلاكهم فى الدنيا فإن عذاب الآخرة فى انتظارهم وهو أشد وأبقى . ومثلهم فى ابتعادهم عن الإسلام كمثل الذى استكن فى الظلال بعيداً من نور الشمس الذى افاض شعاعه على الأرض ، فحرم نفسه من الرحمة الواسعة المهداة من الله تعالى لعباده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول تعالى فى الفرق بين المؤمن والكافر فى سورة الأنعام : (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) .

وقد ختم الله الرسالات السماوية بالرسالة المحمدية فكانت مسك الختام .

الرسالة المحمدية رسالة عامه :

وقد كانت الرسالات السابقة عليها رسالات محدوده ، فكان كل رسول يبعث إلى قومه خاصه ، فكانت رساله سيدنا موسى عليه السلام مثلاً

لبنى إسرائيل واهل مصر ، وكانت رسالة سيدنا عيسى عليه السلام لبني إسرائيل ، بينما كانت الرسالة المحمدية دعوة عامة للانس والجن ، بل قال بعض العلماء : إن رسالته صلى الله عليه وسلم شملت كذلك الملائكة واستدلوا بقوله تعالى فى سورة الفرقان (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) والعالمون هم الأنس والجن والملائكة ، وبقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى مسلم ((وأرسلت إلى الخلق كافة)) فتأمل فى قوله ((الخلق)) وفى قوله ((كافة)).

معجزة القرآن الكريم :

وقد أيد الله الرسالة المحمدية بمعجزات شتى وأعظمها واخدها على الأزمان معجزة القرآن الكريم التى تحدى الله ويتحدى بها الإنس والجن إلى يوم القيامة أن يأتوا بسورة قصيرة من سورة ، فعجز فحول اللغة الأوائل وأقروا بالعجز وتعرضوا لشبا الأسنة وحد السيوف ولم يستطيعوا التعرض لبلاغه القرآن التى بهرتهم وأخرصتهم مع ما أتوا من الفصاحة نثرا وشعرا ومع كفرهم بالرسالة قالوا فى القرآن قولتهم ((إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق)).

وقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل على مر الأزمان فقال تعالى فى سورة الحجر (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، وقد كان لبقاء القرآن على أصله اثر بالغ فى انتشار دعوة

الإسلام فى المشارق والمغارب كما كان له أثره فى تثبيت عقيدة التوحيد وبقائها خالصة من الشوائب على الرغم من قيام الفتن ما ظهر منها وما بطن، وصدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال فيما رواه الإمام البخارى رضى الله عنه ((مامن الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا)).

انتشار الإسلام:

أيها الأعزاء :

إن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى عن مائه وأربعة وعشرين ألفا من اصحابه الكرام ولكن الإسلام انتشر من بعده بفضل أصحابه وأتباعه حتى صار عدد المسلمين بالملايين والبلايين على مر الأجيال وهم يبلغون الآن ربع سكان المعمورة أو يزيدون ، وهم يعيشون فى أطيب بقاع الأرض مناخا وأكثرها ثروة ، وكل ذلك من بركات صاحب الذكرى علينا ، وقد سدنا العالم فى القرون الأولى من تاريخنا الإسلامى بفضل اعتزازنا بديننا واتباع تعاليمه . ثم تغيرت أحوالنا حين استعمر أرضنا المستعمرون ، وقد مكنهم منا تفكك البلاد الإسلامية بعد أن كانت يدا واحده على الأعداء وقد نقضنا بحمد الله عن بلادنا عار الاستعمار وبقي علينا أن ننفض عنا ما خلفه الاستعمار فينا من مساوئ المسالك والعادات التى نهى عنها ديننا الحنيف ، ورحم الله أمير الشعراء شوقى إذ يقول :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

صاحب الخلق العظيم:

إن الله تعالى أرسل مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق وقد فعل ، وكان فى تلك المكارم الأسوة الحسنه بأقواله وأفعاله وأحواله وكفاه شرفاً أن يقول له ربه (وإنك لعلى خلق عظيم) وقد سئلت سيدتنا أم المؤمنين عائشه عن خلقه صلى الله عليه وسلم فأوجزت وصفها قائلة رضى الله عنها كان خلقه القرآن . و معنى ذلك أنه اتبع ما أمر به الله تعالى وأمرنا به ، وانتهى عما نهى الله عنه ونهانا عنه . ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . وقد جعلنا الله بالقرآن الكريم فى مقام الكرامة والعزة فقد أغنانا عن غيرنا فهم يأخذون عنا ولا نأخذ عنهم .

شرفنا فى الآخرة:

هذا فى الحياة الدنيا ، أما عن حياة الآخرة ، فقد شرفنا بأن جعلنا شهداء على الناس إذ يقول تعالى فى سورة البقرة (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)

والوسط هم العدول ، ونشهد على الأمم التى سبقتنا بما جاءنا عنهم فى القرآن الكريم الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

مكانة الرسول :

ايها الكرام :

دعونا ننتزعة قليلا فى رياض القرآن الناضره وفى الآيات التى تخص

صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه لنشهدده صلى الله عليه وسلم فى الأفق الأعلى الذى كرمه الله به وأعدده له .

الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم :

يقول الله تعالى فى سورة الاحزاب (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) هذه جملة اسميه تفيد دوام الصلاة عليه من الله ومن الملائكة ، والصلاة من الله زيادة عطاء وتكريم ومن الملائكة دعاء بزياده العطاء ، والصلاة من المؤمنين دعاء بالزيادة كذلك .

وقد قال العلماء إن صلاة الله وملائكته أعظم من تكريم آدم عليه السلام بسجود الملائكة له لأن السجود كان مرة واحدة وكان للتأديب حيث قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) وذلك حين قال لهم تعالى (إنى جاعل فى الأرض خليفه) . كما أن السجود لآدم لا يتأتى من الله مع الملائكة كالصلاة على الرسول التى للتقريب وليست كالسجود للتأديب .

وصلاة المؤمن وتسليمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم تشرح صدره وتقوى رابطته الروحيه به صلى الله عليه وسلم وترفع درجاته عند الله تعالى ، فمن صلى على رسول الله مرة صلى الله عليه بها عشرا كما ورد فى

السنة ، وصلاة الله على المؤمن تخرجه من الظلمات إلى النور (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما) فأكثرُوا من الصلاة والتسليم عليه لتفوزوا بتلك الأنوراالقدسية ، ففي الحديث الشريف من رواية الإمام أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : إن جبريل أتانى فبشرنى ، فقال : إن الله عز وجل يقول : من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت لله شكراً .

طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

ويقول تعالى فى سورة النساء : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ، ويقول العلماء : إن الله تعالى كرر فعل وأطيعوا ليكون للرسو طاعة مستقلة إلى جانب طاعه الله تعالى ، فإذا أمرنا بأمر أو نهانا عن نهى لم يرد فى كتاب الله وجبت علينا طاعته (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ولم يكرر الله فعل وأطيعوا مع ولاة الأمور لتكون طاعتهم مندمجة فى طاعه الله ورسوله ، لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق .

وما أروع القرآن الكريم حين يعالج الأمور بواقعها ، فقولته تعالى : (فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول) يفيد أننا عرضة لوقوع

التنازع فيما بيننا ، فإن وقع التنازع فى شئ فلنرجع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الرد إلى الرسول بعد وفاته إنما يكون بالرد إلى سنته ، أما أصحابه فكانوا يرجعون إليه فى حياته فيقضى بينهم بما أراه الله . وصيغه الكلام المتقدم صيغه شرط فى سياق نكرة ، فكأنه تعالى يقول : مامن شئ تتنازعون فيه إلا وجدتم حكمه فى الكتاب او السنة فلا تعدلوا عن احكام الكتاب والسنة إلى الحكم بالهوى والرأى وإلا اخطأتم الصواب ومن أمثله الأحكام التى وردت فى السنة ولم ترد فى القرآن تحريم زواج العمه على بنت أخيها ، فإنهما لم تردا فى آيه المحرمات ، وكذلك الصلاة على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأخير ، فقد اخذناه من السنة النبوية ولم يرد فى القرآن .

اتباعه صلى الله عليه وسلم :

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) ويبين لنا أن العلامة التى جعلها الله دليلا على محبتنا لله هى الحرص على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقواله وأفعاله وأحواله ، وكلما تشبه المؤمن به فى سلوكه كلما ازدادت محبته لربه فغفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه ، فزفته الملائكة فى عرصات القيامة بين الكرام البررة وما اعظمها سعادته .

توقير الرسول صلى الله عليه وسلم :

ان توكير الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتاب الله تعالى ظاهر جلى ، فبينما خاطب الله تعالى إخوانه المرسلين بأسمائهم حتى أولى العزم منهم ، خاطبه هو بالرسالة أو النبوة أو بوصفه ، فقال تعالى مثلا فى سورة الصافات (وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين) .

وقال تعالى فى سورة هود : (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) .

وقال تعالى فى سورة القصص : (ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) .

وقال تعالى فى سورة المائدة : (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) .

أما خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بصيغة (يا أيها الرسول) (يا أيها النبى) (يا أيها المزمّل) (يا أيها المدثر) كما هو واضح فى القرآن الكريم ، ولم يخاطبه الله ولو مرة واحدة بصيغة يا محمد ، وما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم محمد فى القرآن الكريم أتبعه الله بوصف الرسالة كقوله تعالى فى سورة الفتح : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وكقوله تعالى فى سورة الأحزاب : (ما كان محمد

أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ، وكقوله تعالى فى سورة آل عمران :
(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) .

وكذلك كانت الأمم السابقة علينا فى الزمن تخاطب سادتنا المرسلين بأسمائهم كقولهم فى
سورة هود (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول) (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا
فأنتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) (قالوا يا هود ما جئتنا ببينه وما نحن بتاركى آلهتنا
عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) (قالوا يا صالح قد كنت فىنا مرجوا قبل هذا) وهكذا ..ولكن
الله سبحانه وتعالى نهى هذه الأمة أن تخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه أو
كنيته ، فقال تعالى فى سورة النور : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) .
ولذلك كان الصحابه الكرام رضى الله عنهم يخاطبونه بالإجلال ويفدونه بأبائهم وأمهاتهم ،
فكان أحدهم إذا خاطب رسول الله صلى اله عليه وسلم يقول فى خطابه ((بأبى أنت وأمى
يارسول الله ، ما كذا وكذا)) وكانوا يخفضون أصواتهم حتى كأنهم يسرون إليه أسراراً ،
ومدحهم الله فى أدبهم هذا ، فقال فى سورة الحجرات : (إن الذين يغضون أصواتهم عند
رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفره وأجر عظيم) وندد الله بالذين كانوا
ينادونه من وراء الحجرات ، ونفى العقل عن أكثرهم فقال تعالى فى سورة الحجرات : (إن الذين
ينادونك من وراء الحجرات

أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم)

وهدد الذين يرفعون أصواتهم فى حضرته صلى الله عليه وسلم بإحباط عملهم وهم لا يشعرون ، فقال تعالى فى سورة الحجرات ناهياً عن ذلك : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) وحبوط العمل يؤدى إلى الكفر والعياذ بالله إن قصد به صاحبه سوء الأدب وعدم المبالاة بمكانته صلى الله عليه وسلم .

ثم انظروا كيف صان الله تعالى حرمة صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فى أول سورة الحجرات : (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم) فقد نهى سبحانه المؤمنين عن أن يسبقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأرائهم فيبدون آراءهم قبله ، وتأمل كيف أضافه الله إليه فشرفه بتلك الإضافة الشرف كله ، فقال تعالى : (بين يدي الله ورسوله) فسبق الرسول بالرأى هو سبق لحكم الله تعالى ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سفيره ونائبه فى الناس ، فمن سبقه بالرأى فقد سبق ربه معه ، وما أكرم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على ربه فى هذا المقام .

وحرمة صلى الله عليه وسلم باقيه بعد وفاته كما كانت فى حياته ، ولقد رفع الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور صوته فى مجلس الإمام مالك ،

رضى الله عنه ، بجوار القبر النبوى الشريف ، فاعترض عليه الإمام مالك وقال له: يا أمير المؤمنين إن الله أدب قوماً فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) ومدح قوماً فقال : (إن الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) فأذعن أبو جعفر وخفض صوته . ولذلك أرجو من الذين يسعدهم الله بزيارته صلى الله عليه وسلم أن يلتزموا هذه الآداب فى الزيارة ، فيخاطبونه كما كان يخاطبه ساداتنا الصحابة رضى الله عنهم .

حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب : (النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمهاتهم) وهذه الأولوية يجب أن تكون فى الأمور كلها ، لأن أوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم فيها صلاح أمرهم فى الدنيا والآخرة ، أما هوى نفوسهم فإنه يعرضهم للمعاصى ، ويخرج بهم عن مصلحتهم ، ويسخط الله عليهم ، فقد حذرنا تعالى من مخالفته وبشر المطيعين له فى قوله تعالى فى سورة النساء : (ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) كما ابرز سبحانه وتعالى رأفه الرسول ورحمته بنا فى قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم * فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله

إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) ، وقد دخل الإمام الشبلي رضى الله عنه على رجل صالح ، فقام الصالح وقبلة بين عينيه وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام يقبله ، فقلت : يارسول الله ، بماذا استحق منك الشبلى ذلك ؟ فقال لى فى الرؤيا: إنه يقرأ بعد كل فريضة الآيتين من آخر سورة التوبة ، وهما الآيتان السالفتان ، ثم يصلى على ثلاثا .

وتقتضى أولويه الرسول صلى الله عليه وسلم أن نطبق شريعته وننشرها بين المسلمين ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، وأن ندافع عنها بالنفس والنفيس ، فقد حماها اسلافنا الصالحين بأرواحهم وأموالهم حتى استقرت فى الأرض ، وصارت منارة للسالكين ، وهدى للمتقين لا يزيغ عنها إلا هالك .

وتقتضى أمومة أزواجه الطاهرات احترامهن والوقوف منهن موقف الأبناء البررة من امهاتهم اللائى أعلا الله قدرهن فخاطبهن خطاباً مباشراً بقوله الكريم فى سورة الأحزاب : (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفا * وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهليه الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً * واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمه إن الله كان لطيفاً خبيراً).

وقد كنت معتمراً بيت الله الحرام فى رمضان الفائت ، وقرأ الإمام فى الصلاة الجهرية هذه الآيات ، فهزنى هذا الخطاب الإلهى المباشر وبرز لى فضل سيداتنا أمهات المؤمنين ، فتلك عناية بهن كبيرة ، وكيف لا وقد تولى الله تربيتهن بذلك الخطاب ، فأطعنه فى سرهن وعلايتهن فأذهب عنهن رجس المعاصى وظهرهن بالطاعات وجعلهن أهلاً للدعوة بالكتاب والسنة ينقلها بأمانة للامة . وقد فعلن رضى الله عنهن وجزاهن عن الأمة خيراً كثيراً.

وقد روت أمنا الجليلة السيدة عائشه رضى الله عنها وحدها قريبا من الألفين من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا تعجب أن يقول صلوات الله وسلامه عليه فى شأنها :

((خذوا شطر دينكم عن الحميراء))

هذا ويقول الله تعالى فى سورة الشورى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور) والمودة هى الثبوت على المحبه ، فافترض علينا الله تعالى مودة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اهل قرابته ، وتكون مودتهم باحترامهم والكف عن أذاهم ، ومعاونتهم بقدر ما نستطيع ، وحفظ حرمتهم أحياء ومنتقلين . وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ((فاطمة ، وعلى ، والحسن ، والحسين)) وقد استجد بعده صلى الله عليه وسلم ذراريهم ،

واقتراف الحسنه هو مودتهم ، فمن ودهم شكر الله له وغفر له وما اعظمه من جزاء .
ويقول سيدى الشيخ الأكبر محي الدين بن عربى فى كتابه الفتوحات : ولو كشف لك ياولى
عما يكون لآل البيت يوم القيامه من مكانه ، لتمنيت أن تكون فى هذه الدنيا مولى من
مواليهم ، كما قال رضى الله عنه :

أرى حب أهل البيت عندى فريضة
على رغم أهل البعد يورثنى القربا

فما اختار خير الخلق منا جزاءه

على هديه إلا المودة فى القربى

ويقول صديقى المرجوم الأستاذ محمد جاد الرب غفر الله له :

ولو أراد ثراء المال جدهمو
لكنه لم يشأ عن هدى أمته

لكان من كل أقبال الورى اثرى
إلا المودة فى القربى له أجرا

وهذه الأجر الذى اختاره الله لرسول الكريم ، فإنه تعالى بقول فى سورة سبأ : (قل ما سألتكم
من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ قدير) ، وفى الحديث الشريف ...
((ومن اصطنع حسنة إلى أحد من

بنى عبد المطلب ولم يكافئه عليها ، فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقينى يوم القيامة)) وأين حسنة الدنيا من حسنات الآخرة ؟ وكيف بنا لا نطمع فى شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمودة سادتنا آل البيت الكرام كما أمرنا الله.

وما أرق ما قال سيدى العارف بالله الشيخ أحمد الحلوانى الخليجى ، (والد شيخى وسيدى العارف بالله الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنهما) فى قصيدته الحلواء فى مدح بنى الزهراء :

بنفسى أهل البيت من مثلهم علا	وهم فى عيون المجد نور قد افترا
ومن ذا يساوى أو يقارب بضعة	لهم تنتهى العلياء والرتبة الكبرى
محبتهم باب الرضا ورضاهمو	يسأم بأرواح المحبين لو يشرى
ويا من يواليهم ويحفظ ودهم	ويكرم مثواهم هنيئاً لك البشرى
فلا بد يوم العرض تسمع قائلاً	تفضل تفضل فادخل الجنة الخضرا

الصحابه الكرام

الصحابى هو المؤمن الذى أسعده الله بالإيمان ، وزاده سعادة فالتقى فى حياته بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . والساده الصحابه قسمان : المهاجرون وهم أهل مكه ، والأنصار وهم أهل المدينة . وقد مدح الله القسمين ، فقال تعالى فى المهاجرون فى سورة الحشر: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)، وقال تعالى فى الأنصار بعد ذلك : (والذين تبوأوا

الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ، فانظروا كيف سمي الله المهاجرين بالصادقين ، وكيف سمي الله الأنصار بالمفلحين ، وهو وصف العليم الخبير ، فما أعظم شرف الصحابه الكرام ، ثم أشار لمن جاءوا بعدهم من المؤمنين إلى يوم القيامة فقال تعالى :

(والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) ، فعلمنا الله أن نذكر أسلافنا الصالحين بالسبق ، وأن ندعو لهم بالمغفرة كما ندعو لأنفسنا ، وذلك يقتضى أن نصون حرمتهم ، وأن نحسن الظن بهم ، فلا نخوض في شأنهم مع الخائضين ، خاصة وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك حين قال صلى الله عليه وسلم : ((الله الله فى أصحابى ، فلو أنفق أحدكم مثل أحد^١ ذهبنا ما بلغ مد^٢ أحدكم ولا نصيفه^٣))

صور أخرى من تكريمه صلى الله عليه وسلم :

وهناك صور أخرى من صور تكريمه صلى الله عليه وسلم ، لا تخفى على المتدبر فى كلام الله تعالى ومن ذلك : يقول الله تعالى فى سورة النساء : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

^١ - جبل بالمدينة المنورة .
^٢ - المد يوازى بالكيل المصرى ثلث قدح .
^٣ - أى نصفه .

فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً (فانظر إلى القسم الإلهي وكيف أضافه الله إليه فيه بقوله الكريم : (وربك) ثم كيف ينفي الله الإيمان عن من لا يقبل حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسليم مطلق لا يشوبه أى حرج فى النفس أو شك فى صحة الحكم .

ويقول تعالى فى سورة الحجر يخاطبه صلى الله عليه وسلم : (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) ، وقد اتفق أهل التفسير على أنه قسم من الله تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ذلك القسم وحياتك يارسولى وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف . وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ، ما خلق الله وما ذراً وما برأ نفساً أكرم على الله منه صلى الله عليه وسلم .

ويقول تعالى فى سورة آل عمران : (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) ، قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي ، فلم يبعث نبياً إلا ذكر له محمداً عليه الصلاة والسلام ونعته ، وأخذ عليه عهداً إن أدركه ليؤمنن به ، ويدعو أمته للإيمان به معه . وأنتم ترون من ذلك أن جميع الأنبياء مع فضلهم صاروا تحت لوائه حيث قدمه الله عليهم .

ويقول تعالى فى سورة الأحزاب : (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم

ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) ، وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلاما بكى منه النبي صلى الله عليه وسلم ، وحين تعرض سيدنا عمر رضى الله عنه لهذه الآية قال : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم وقرأ رضى الله عنه الآية السابقة .

وفى هذه المناسبة أرى من المفيد أن أذكر لكم ما رواه الإمام الغزالي فى كتابه الإحياء ، فقد روى أن أمير المؤمنين عمر سمع بعد موت رسول صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول : ((بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد كان جذع تخطب الناس عليه ، فلما كثر الناس اتخذت منبراً لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن ، فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم)) .

((بابى أنت وأمى يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته ، فقال عزوجل : ((من يطع الرسول فقد أطاع الله))

((بابى أنت وأمى يارسول الله ، ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء ، وذكرك فى أولهم فقال عزوجل : (وإذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية) ((بابى أنت وأمى يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار

يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون : (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول)

((بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجراً تنفجر منه الأنهار ، فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك .

((بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان سليمان بن دواد أعطاه الله الريح غدوها شهر ، ورواحها شهر ، فماذا بأعجب من البراق حين سریت عليه إلى السماء السابعة ، ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح^١ صلى الله عليك .

((بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى ، فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية ، فقالت لك الذراع : لا تاكلنى فإنى مسمومة .

((بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا ، فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت ربايعتك فأبيت أن تقول إلا خيراً : ((اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون)) .

((بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنينك وقصر عمرك

^١ - حواى مكة .

مالم يتبع نوحا في كثرة سنياه وطول عمره ، ولقد آمن بك الكثير ، وما آمن معه إلا قليل .
 ((بأبى أنت وأمى يارسول الله لو لم تجالس إلا كفواً لك ما جالستنا ولو لم تنكح إلا كفواً لك
 ما نكحت إلينا ، ولو لم تؤاكل إلا كفواً لك ما واكلتنا ، فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا
 ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض تواضعاً منك صلى
 الله عليك وسلم))

أما إمامنا على كرم الله وجهه فكان إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 ((كان أجود الناس كفا ، وأوسع الناس صدرا، وأصدق الناس لهجه ، وأوفاهم ذمه ، وألينهم
 عريكة ، وأكرمهم عشرة ، ومن رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : لم
 أرقبله ولا بعده مثله))

وكلام إمامنا على يفسر لكم قوله تعالى في سورة آل عمران (فبما رحمه من الله لنت لهم ولو
 كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا
 عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) ولقد صدع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بأمر ربه ، وشاور أصحابه في غير أحكام الله . فسن لنا الشورى والاستعانة بأصحاب الرأي ،

ولو استغنى عقل بشرى عن الشورى لا استغنى عنها العقل المحمدى ولكن شرف الله امتنا بالشورى فى قوله تعالى : (وأمرهم شورى بينهم) فما أعظم الإسلام فى تعاليمه ، وما أغنانا بالكتاب والسنة والجماعة .

ويقول تعالى فى سورة الحاقة : (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين) قال الله تعالى ذلك دفاعاً عن رسوله صلى الله عليه وسلم حين قالوا تارة إنه شاعر ، وتارة اخرى إنه كاهن . فانظروا كيف تولى الحق سبحانه الرد عليهم ، وقد كانت عادة الرسل قبله أن يدافعوا عن انفسهم أمام أقوامهم ، فمثلا يحكى الله تعالى فى سورة الأعراف عن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام : (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قال المأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين * قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكن رسول من رب العالمين) ، ويحكى تعالى فى سورة الأعراف عن سيدنا هود عليه الصلاة والسلام : (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون * قال المأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين * قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين) .

ويقول الله تعالى فى سورة البقرة : (قد نرى تقلب وجهك فى السماء

فلنو لينك قبله ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) وأى إكرام واضح فى تحقيق ما كانت تصبو إليه نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتجاه فى الصلاة إلى بيت الله الحرام ، حيث كان متجه الصلاة فى أول الأمر إلى بيت المقدس وظل الأمر كذلك نحو عام ونصف تأليفاً لقلوب اليهود ولكنهم زاغوا فأزاع الله قلوبهم .

وقد كانت السيدة عائشه رضى الله عنها تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحق : أرى الله يسارع فى هواك .

وفى مناسبة قوله تعالى فى الآية السابقة : (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) أقول : إن الله شرف أعضاءه الطاهرة فذكرها فى القرآن الكريم تفصيلاً ، ومن ذلك :

قوله تعالى فى سورة طه : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) فذكر سبحانه عينيه الشريفتين .

وقوله تعالى فى سورة الإسراء : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوماً محسوراً) فذكر سبحانه اليد والعنق بشرفهما .

وقوله تعالى فى سورة الشرح : (ألم نشرح لك صدرك *

ووضعنا عنك وزرك * الذى انقض ظهرك) فذكر سبحانه الصدر والظهر الشريفين .
 وقوله تعالى فى سورة الشعراء : (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين *
 بلسان عربى مبين) فذكر سبحانه القلب واللسان الشريفين .
 وقوله تعالى فى سورة القيامة : (لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه)
 فشرف اللسان بالذكر .
 وقوله تعالى فى سورة التوبة : (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم
 يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)
 فذكر سبحانه الأذن بالخير والشرف .
 وقوله تعالى فى سورة التوبة : (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن
 رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) فشرف سبحانه نفسه الكريمة بفضلها على سائر
 نفوس المؤمنين .
 وهكذا يبدو لنا شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم فى ظاهره وباطنه
 وكلياته وجزئياته ، ولا عجب فهو خير خلق الله أجمعين ، وسيد الأولين والآخرين ، وأمير
 الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم إلى يوم الدين .

شرفنا نحن المؤمنين :

ومن فضل الله تعالى على المؤمنين أنه أعطاهم مما أعطى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك .

قال تعالى فى سورة الأحزاب : (إن الله وملائكته يصلون على النبى)

قال تعالى فى السورة ذاتها مخاطباً المؤمنين : (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً)

وقال تعالى فى سورة الفتح : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً * وينصرك الله نصراً عزيزاً) وقال تعالى فى السورة ذاتها : (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم والله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً * ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً)

كما قال تعالى فى السورة ذاتها أيضاً : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً) . وقال تعالى فى سورة الروم : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) .

وقال تعالى فى سورة التحريم (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأييمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير) . وكذا أكرمنا الله بإكرامه صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد فى الحديث الشريف " أنا حظكم من الأنبياء ، وانتم حظى من الأمم " ، فما أسعد حظنا به صلوات الله وسلامه عليه . وأقول بعد ما تقدم إن متابعتة صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعله وأحواله ، هى التى جعلنا أهلاً لشرف الانتساب إليه بالإيمان والبنوة الروحية ، وهو ما يدعوننا أن ننظر فى شمائله السامية لنقلده فيها ، ومن ذلك مثلاً ما أوصى به صلى الله عليه وسلم الصحابى الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه حين قال له :

" يامعاذ أوصيك باتقاء الله ، وصدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، وحفظ الجار ، ورحمة اليتيم ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، وحسن العمل ، وقصر الأمل ، ولزوم الإيمان ، والتفقه فى القرآن ، وحب الآخرة والجزع من الحساب ، وخفض الجناح .
" وأنهاك أن تسب حكيماً ، أو تكذب صادقاً ، أو تطيع آثماً ، أو تعصى إماماً عادلاً ، أو تفسد أرضاً .

" وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر ومدى ، وأن تحدث لكل

ذنب توبة السر بالسر ، والعلانية بالعلانية ، فهكذا أدب الله عباده ، ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب " .

الشمائل المحمدية :

ومن مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، أنه كان أحلم الناس ، وأشجع الناس ، وأعدل الناس ، وأعف الناس ، ولم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها ولا عصمة نكاحها أو تكون ذا محرم منه ، وكان أسخى الناس ، وأجود بالخير من الريح المرسلّة ، لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، ولا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ويضع ذلك فى سبيل الله ، لا يسأل شئ إلا أعطاه ، ثم يعود إلى قوت عامه ، فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل إنقضاء العام إن لم يأتته شئ .

وكان يخصف نعله ويرقع ثوبه ، ويخدم فى مهنة أهله ، وكان يجيب دعوة العبد والحر ، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويكافئ عليها ، وكان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، وكان يغضب لربه ، ولا يغضب لنفسه ، وكان يأكل ما حضر ، ولا يرد ما وجد ، وكان يعود المريض ، ويشهد الجنائز ، وكان أشد الناس تواضعاً ، وكان يردف خلفه العبد ، ويتختم بخاتم فضه يلبسه فى خنصره الأيمن أو الأيسر ، ويركب ما تيسر ، مرة فرساً ، ومرة بعيراً ، ومرة بغلة شهباء ، ومرة حماراً ، ومرة يمشى ، وكان يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة ، وكان يكرم أهل الفضل ، ويتألف أهل الشر بالبر ، ويصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم ، وكان يقبل

معذرة المعتذر ، ويمزح ولا يقول إلا حقا ، وكان يضحك من غير قهقهه ، وكان يرى اللعب المباح ولا ينكره ، وكان يسابق أهله ، ويدخل عليهم السرور .

وكان لا يحتقر مسكيناً لفقره ، ولا يهاب ملكاً لملكه ، يدعو هذا وهذا إلى الله ، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله ، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة ، وكان يكرم من دخل عليه حتى ربما بسط له ثوبه ، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته ، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل ، وكان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم ، ويكنى من لم تكن له كنية ، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً ، وكان أرأف الناس بالناس ، وخير الناس للناس ، وانفع الناس للناس .

وكان إذا قام من مجلسه قال : سبحانك اللهم بحمدك ، اشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، ثم يقول : علمنيهن جبريل عليه السلام ، وكان أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدي ، وكان إذا وضعت المائدة قال بسم الله ، اللهم اجعلها نعمه مشكورة تصل بها نعمة الجنة ، وكان لا يأكل الحار ويقول : انه غير ذى بركة، وإن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه وكان يأكل القثاء بالرطب وبالمح ، وكان أحب الفواكه الرابطة إليه البطيخ والعنب ، وكان أكثر طعامه التمر والماء ، وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميها الأظبيين ، وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول : هو يزيد في السمع ، وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ، ولو سألت

ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل ، وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول :
 إنها شجرة أخی يونس عليه السلام ، وكان يحب من الشاة الذارع والكتف ، ومن التمر
 العجوة ، ودعا فى العجوة بالبركة وقال هى من الجنة وشفاء من السم والسحر ، وكان يكره
 الكليتين لمكانهما من البول ، وكان لا يأكل من الشاة سبعاً : الذكر والخصيتين والمثانه
 والمرارة ، والغدد والحياء والدم ، ويكره ذلك ، وكأن لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث ، وما ذم
 طعاماً قط ، لكن إن أعجبه أكله ، وإن كرهه تركه .

وكان إذا فرغ من الطعام قال : الحمد لله ، اللهم لك الحمد ، اطعمت فأشبعت ، وسقيت
 فأرويت ، لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه . وكان إذا أكل الخبز واللحم
 خاصه غسل يديه غسلًا جيداً ، ثم يمسح بفضل الماء على وجهه . وكان يشرب فى ثلاث
 دفعات وله فيها ثلاث تسميات ، وفى أواخرها ثلاث تحميدات ، وكان يمص الماء مصاً ، ولا
 يعبه عباً ، وكان يدفع سؤرة إلى من على يمينه ، وكان لا يتنفس فى الإناء .

وكان أكثر لباسه البياض ويقول : ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم ، وكانت ثيابه كلها
 مشمرة فوق الكعبين ، وكان له ثوبان لجمعه خاصه سوى ثيابه فى غير الجمعة ، وكانت له
 عمامه تسمى السحاب ، فوهبها لإمامنا على كرم الله وجهه ، فإذا طلع الإمام على لا بساً لها
 قال صلى الله عليه وسلم :

أتاكم على فى السحاب ، وما أروع من مزاح جميل ، وكان إذا لبس ثوباً لبسه من الميامن ويقول : الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به من الناس ، وإذا نزع ثوبا نزع من المياسر . وكان إذا لبس جديداً أعطى القديم لمسكين ، ثم يقول : ما من مسلم يكسو مسلماً من كل ثيابه لا يكسو إلا لله إلا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما وراه حيا وميتا . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : لا يبلغنى أحد منك عن أحد من أصحابى شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : أنا أشبه الناس بآدم ، وكان أبى إبراهيم أشبه الناس بى خلقا وخلقاً .

أيها الأعداء :

إنما أردت أن أقرب لكم بعض الشمائل المحمدية لتنتفعوا منها وتنفعوا غيركم بها ، فقد جملة الله وكمله بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات لئتم للناس مكارم الأخلاق ، لأن الإسلام أخلاق ، فمن زاد عليك فى الأخلاق فقد زاد عليك فى إسلامه ، والمجتمع لا يصلح إلا بصلاح أفراده، ولا صلاح للأفراد والجماعات إلا بصلاح الأخلاق ، فلنأخذ عن صاحب الذكرى الأخلاق الزكية الكامله فى مناسبة ذكرى ميلاده العاطرة ، ولنجعل تلك الذكرى للتعرف عليها واقتباسها ، فالدنيا ممر والآخرة مقر ، فخذوا من ممركم لمقركم ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور .

أيها الإخوة الكرام :

قيل فى علم المناسبة ، وقد يكون فرعا من علم الفراسة ، إنك لو تأملت فى عدد حروف لا إله إلا الله وجدتها اثنى عشر حرفاً ، كما تجد حروف محمد رسول الله اثنى عشر حرفاً ، فانظر كيف جعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم مناسبة تشريف فى مساواة حروف الشهادتين . وقال أهل المناسبة كذلك : وسر هذه المناسبة كانت للخلفاء الراشدين الأربعة : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن ابى طالب ، فحروف كل واحد من أسمائهم هى كذلك اثنا عشر حرفاً ، وهى مناسبة إرضاء الله فى التأسى برسول الله ، وذلك ما يكشف لك سر سعادتهم ، وأفضليتهم لكمال مناسبتهم فى أخلاقهم للحضرة النبوية الشريف ، وقد شهد الله بكمال أخلاقه صلى الله عليه وسلم فى قوله الكريم : (وإنك لعلى خلق عظيم)

فإذا أردت أن تكون سعيداً مثلهم فتخلق بأخلاق رسولك صلى الله عليه وسلم ما استطعت تظفر بالسعادة التى ظفروا بها ، وقد ضمنها الله لك فى قوله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً) .

ولا يفوتنا فى بركات الذكرى النبوية أن ندعو الله تعالى أن يلحقنا بركب أسلافنا الصالحين وأن ينصرنا على أعدائنا وأعدائه المعتدين على

أوطاننا الحبيبة التي جاهد في فتحها للإسلام بأموالهم وأنفسهم الصحابة الكرام البررة عليهم رضوان الله .

وفي ختام محاضرتي أتقدم بالتحية والإكبار والإجلال لمقام مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقول ما قال الأديب الكبير السيد عبد الله عفيفي رحمه الله رحمة واسعة :

يانبي الهدى تحية قلب مستهام إلى لقائك صادي
 أى خير ورحمة ورشاد ولدت معك ليلة الميلاد
 حفاك الله بالكمال وصافاك بخير الآباء والأجداد
 نسب كالغمام صفواً وطهراً وفروع علون كالأطواد
 وبطون برئن من لوثة العار وعبث الهوى على الآماد
 حل فيها العفاف والشرف المحض
 محل الأرواح فى الأجساد

وأشكر لكم حسن استماعكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٧ من ربيع الأول ١٣٩١ هـ حسن كامل المطاوى

١٢ من مايو ١٩٧١ م